طلقة (١٣)

(الشاذلي وخلفه مبارك)

مهمة خاصة... إلى بيت عامر !!

فشلت القوات المسلحة ونجح الشعب وتلك هي وجهة نظر الكاتب محمد حسنين هيكل.. اتجهت الجموع إلى السفارة الأميركية تريد أن تنسفها، لكن قرار الرئيس جمال عبدالناصر بالعودة إلى موقعه مرة أخرى أنقذها وأنقذ الجميع وطلب السادات من جميع القيادات أن تقدم استقالتها فكتبوها جميعا الا عبدالحكيم عامر رغم انه أكثرهم حماسا لذلك..

في ١١ يونيو قرر جمال عبدالناصر أن تكون ضربة البداية اعادة بناء القوات المسلحة والشاهد على ذلك أيضا أنور السادات.

وكان الشاذلي حاضرا في المشهد الأخير بين جمال وعبدالحكيم عامر وهو يكتبها على النحو التالي:

تجمع الكثير من الضباط والقادة حول عبدالحكيم عامر الذي أدرك أن عبدالناصر لا يريده.. واستدعى محمد فوزي وعبدالمنعم رياض الشاذلي وطلبا منه أن يتوجه إلى بيت عبدالحكيم بقوة من الصاعقة والقبض على جميع الضباط المجتمعين داخله.

ونزل الأمر كالصاعقة على رجل الصاعقة فكيف يكون الوضع عندما يذهب بقوته ويجد نفسه وجها لوجه مع زملاء من الصاعقة أو من الأسلحة الأخرى وكانت أصعب مهمة يمكن أن يكلف بها رجلا مثل الشاذلي يحسب لكل خطوة ألف حساب.. ودعا الله من كل قلبه أن يشرح له صدره وييسر له أمره ويحل له العقدة بفضله وبينما هو في الطريق كانت السماء قد استجابت لدعوة الرجل وصدر الأمر بايقاف المهمة وكأن شيئاً لم يكن.

في اليوم الذي قرر فيه عبدالناصر اعادة بناء القوات المسلحة صدرت الأوامر بان يتولى الشاذلي قيادة القوات الخاصة التي جمعت بين الصاعقة والمظلات معا وأطلق البعض على الشاذلي موحد القوتين.

وكان عبدالناصر بعيد النظر عندما دمج بين الصاعقة والمظلات لان هذه القوة سيكون لها دورها الكبير خلال فترة حرب الاستنزاف وهي المنطقة المجهولة التي لم يتوقف عندها المؤرخ العسكري بما يكفي.

حاول عبدالحكيم عامر بكل السبل الاستمرار ورفض الاستقالة ومنصب نائب رئيس الجمهورية بعد أن عزله عبدالناصر من مناصبه العسكرية وأسندها إلى الفريق محمد فوزي.. ولما أدرك تصميم عبدالناصر على ابعاده وتحديد اقامته انتحر وحزن لأجله كثيرا فهو صديقة المقرب وقال للسادات: تصور يا أنور أنا وأنت وعبدالحكيم.. كنا أصدقاء لسنوات طويلة وعندما يموت حكيم لا نستطيع أن نمشي في جنازته.. ولا احد من الزملاء سيشارك أيضا في الجنازة خوفا من ثورة أهله!

رأس العش

بعد أسابيع قليلة كان العالم كله يتحدث عن معركة رأس العش التي أدرك من خلالها العدو أن الجيش المصري قد استعاد زمام أمره وفي ٨ سبتمبر ١٩٦٨ فتحت المدافع المصرية نيرانها الكثيفة على امتداد الجبهة كلها وأمطرت القوات الإسرائيلية بأطنان من القنابل المدمرة.. وكانت اشارة أن تحولات قد جرت في الجيش المصري.. وقبلها نجحت البحرية المصرية في اغراق المدمرة ايلات.. أي أن الصحوة العسكرية تشمل كافة الأسلحة.. وكانت هذه رسالة لإسرائيل بان القوات البحرية لاتزال تحتفظ بكل قوتها.

في البحر الأحمر

وفي عام ١٩٦٩ جرت تغييرات جديدة في صفوف القوات المسلحة وتم ابعاد أحمد إسماعيل رئيس الأركان على اثر غارة جوية شنتها إسرائيل على رأس غارب واختير محمد صادق بدلا منه وكان إسماعيل قد تولى منصبه بعد استشهاد عبدالمنعم رياض.

وهو بطل سنتوقف أمام سيرته بالتفصيل خارج السياق وكان السبب في اختيار الشاذلي قائدا لمنطقة البحر الأحمر أنها متسعة وإسرائيل تستثمر ذلك في غارات هدفها الايحاء بأنها قادرة على الوصول إلى العمق المصري حيث تهبط طائرة أو طائرتين في صعيد مصر ليلا ويتم ايقاف السيارات وانزال ركابها واصطحاب بعضهم إلى إسرائيل ثم الاعلان عن أنهم أسرى وذات مرة أخذوا ضابطا وذبحوه وفي مرة ثالثة داسوا بدباباتهم على سيارة المحافظ وهي بالوصف العسكري عمليات رخيصة ووجدوا أن رجل الصاعقة والمظلات الشاذلي هو من يستطيع ايقاف العدو عند حده.

وبدأ الرجل يقسم المنطقة إلى أقسام وينظم عمل دوريات عسكرية كانت تعمل من بعد الغروب إلى الصباح ولم يتوقف الأمر بالنسبة للشاذلي عند هذا الحد.. بل انه قام بتدريب بعض الضباط على القيام بعمليات وغارات خلف خط بارليف قامت بها الكتيبة ٨٣ صاعقة وفي احداها قتل ٣٥ إسرائيليا وأسر اثنان من كتيبة الجولاني وفي العمليات الثانية دمر اللواء ١٣٥ مشاة احدى النقاط القوية داخل خط بارليف وقتل ١٣ إسرائيليا وأسر جندي واحد وهو ما دفع غولدمائير رئيسة الوزراء الإسرائيلية في ذلك الوقت للاستغاثة بالرئيس الأميركي نيكسون حيث عرضت عليه مبادرة لوقف اطلاق النار وتم ذلك بالفعل تقديم مبادرة روجز في عام ١٩٧٠ وكانت فرصة لقواتنا لبناء قواعد الصواريخ.

وإذا كانت الأضواء قد ذهبت إلى الأبطال الذين خاضوا حرب أكتوبر فان الواجب يحتم أن نرصد قصص وأسماء وحكايات هؤلاء الأبطال في فترة حرب الاستنزاف ولولا جهدهم وإخلاصهم العظيم في فترة عصيبة ما بلغنا نصر أكتوبر.

الهجوم بدلاً من الدفاع

في مذكراته يقول الشاذلي: لم نكف عن التفكير في الهجوم على العدو الذي يحتل أراضينا حتى في أحلك ساعات الهزيمة في يونيو ١٩٦٧، لقد كان الموضوع ينحصر فقط في متى يتم مثل هذا الهجوم وربط هذا التوقيت بامكانات القوات

المسلحة لتنفيذه وفي خريف ١٩٦٨ بدأت القيادة العامة للقوات المسلحة تستطلع امكان القيام بمثل هذا الهجوم على شكل مشاريع استراتيجية تنفذ بمعدل مرة واحدة في كل عام، وقد كان الهدف من هذه المشاريع هو تدريب القيادة العامة للقوات المسلحة- بما في ذلك قيادات القوات الجوية والقوات البحرية وقوات الدفاع الجوي، وكذلك قيادات الجيوش الميدانية وبعض القيادات الأخرى- على دور كل منها في الخطة الهجومية- لقد اشتركت في مشاريع عامي ١٩٦٨ و١٩٦٩ بصفتي قائداً للقوات الخاصة قوات المظلات وقوات الصاعقة، واشتركت في المرة الثالثة عام ١٩٧٠ عندما كنت قائدا لمنطقة البحر الأحمر العسكرية.

وقد جرت العادة على أن يكون وزير الحربية هو المدير لهذه المشاريع، وان يدعى رئيس الجمهورية لحضور جزء منها، لكي يستمع إلى التقارير والمناقشات التي تدور خلالها، وقد استمرت هذه المشاريع خلال عامي ١٩٧١ و١٩٧٢.

أما المشروع الذي كان مقررا عقده عام ١٩٧٣ فلم يكن الا خطة حرب أكتوبر الحقيقية التي قمنا بتنفيذها في ٦ أكتوبر ١٩٧٣. وحيث أن إسرائيل كانت تتفوق علينا تفوقاً ساحقاً في كل شيء خلال عام ١٩٦٨ والأعوام التالية، فقد كان مديرو هذه المشاريع الاستراتيجية يفترضون امتلاكنا لقوات مصرية ليست موجودة واقعياً، وذلك حتى يكون من الممكن تنفيذ مشروع الهجوم بأسلوب لا يتعارض مع العلم العسكري. وبمعنى آخر فان المديرين كانوا يضعون الخطة الهجومية على أساس ما يجب أن يكون لدينا، اذا أردنا القيام بعملية هجوم ناجحة. ولا يمكن أن نعتبر هذا خطا كبيرا حيث أن مثل هذه الخطط وان كانت غير واقعية، فانها تظهر بوضوح حجم القوات المسلحة التي يجب توافرها لكي يمكن تنفيذ خطة هجومية ناجحة. وفي خلال السنوات ٦٩ وما بعدها أخذت قواتنا المصرية تزداد قوة، وأخذت خططنا في تلك المشاريع الاستراتيجية تبدو اقل طموحا- نتيجة ربط الأهداف بالامكانات الواقعية- وبذلك أخذت الثغرة بين امكاناتنا

الهجومية وخططنا الهجومية في المشاريع الاستراتيجية تضيق شيئا فشيئا، حتى تم اغلاقها تماماً في أكتوبر ١٩٧٣. وهكذا أصبحت خطتنا الهجومية عام ٧٣ مطابقة للامكانات الفعلية لقواتنا المسلحة.

ان السيطرة على قوات مسلحة قوامها حوالي المليون ضابط وجندي هي عمل صعب للغاية، فعندما شغلت منصب رئيس الاركان كان حجم القوات المسلحة حوالي ٨٠٠٠٠٠، وقبل اندلاع حرب أكتوبر ٧٣ كانت القوات المسلحة قد بلغت مليونا وخمسين ألفا في الجيش العامل، يضاف إلى ذلك ١٥٠٠٠٠ كان قد تم تسريحهم وتنظيم استدعائهم خلال السنتين السابقتين للحرب، وبذلك وصل حجم القوات المسلحة إلى مليون ومئتي ألف ضابط وجندي، كان حوالي ٥٨ في المئة منهم لا ينخرطون ضمن الوحدات الميدانية، ولاشك أن هذه النسبة تعتبر نسبة عالية اذا ما قورنت بالنسب السائدة في القوات المسلحة الأجنبية، ولكننا اضطررنا إلى هذا الموقف نتيجة للعاملين التاليين:

١- أن تفوق العدو الجوي الساحق جعل بامكانه توجيه جماعات منقونة جوا لتدمير وتخريب أهدافنا الحيوية المتناثرة في طول البلاد وعرضها، وان البنية التحتية والأهداف الحيوية في مصر، هي أهداف مثالية لجماعات التخريب المعادية، فهناك مئات الكباري فوق النيل والرياحات والترع، وهناك خطوط أنابيب المياه والبترول التي تمتد مئات الكيلومترات عبر الصحراء وكذلك خزانات المياه والنفط ومحطات الضخ والتقوية وتوليد الكهرباء، الخ.

٢- أن التوسع المستمر في حجم القوات المسلحة كان يفرض علينا زيادة طاقة المنشآت التعليمية حتى تستطيع أن تلبي مطالبنا المتزايدة في تدريب الكوادر المطلوبة لقواتنا المسلحة، ولا يمكن أن يتحقق ذلك الا بمزيد من تدعيم هذه المنشآت بضباط الصف المعلمين والاداريين الذين يرفعون من طاقة هذه المنشآت. أن هيئة أركان الحرب العامة هي جهاز مركب تركيبا غاية في التعقيد،

أنها تضم حوالي ٥٠٠٠ ضابط و ٢٠٠٠٠ من الرتب الأخرى، وعلى قمة هذا الجهاز يجلس رئيس أركان حرب القوات المسلحة وتحت إمرته المباشرة ٤٠ ضابطا برتبة لواء، كل منهم على قمة فرع أو تخصص أو إدارة لمعاونة رئيس الأركان في السيطرة على القوات ولتسهيل عملية السيطرة على تلك القوات ذات المليون جندي، فقد تم تجميعها تحت ١٤ قيادة هي البحرية- الطيران- الدفاع الجوي- الجيش الثاني- الجيش الثالث- قوات المظلات- قوات الصاعقة- منطقة البحر الأحمر- المنطقة الشمالية- المنطقة الغربية- المنطقة المركزية- المنطقة الوسطى- المنطقة الجنوبية- قطاع بور سعيد. لقد تعودت في الماضي أن اخلق نوعا من الاتصال المباشر بيني وبين الرجال الذين أقودهم، لم أكن قط من ذلك الطراز من القادة الذين يستمعون إلى تقارير مرؤوسيهم المباشرين ويعتمدون عليها اعتمادا كلياً في اتخاذ قراراتهم.

مؤتمر الرئيس

بعد أن تم انتخاب السادات رئيسا للجمهورية في ١٤ من أكتوبر ٧٠ دعا إلى اجتماع مع قادة القوات المسلحة يوم ١٩ من أكتوبر، وفي هذا الاجتماع أثنى على المرحوم جمال عبدالناصر، ووعدنا بأنه سيسير على هدي خطواته وفي ٣٠ من ديسمبر من العام نفسه حضر اجتماعا آخر مع القادة، ولكن في هذا الاجتماع كان المتكلم الرئيسي هو وزير الحربية الفريق فوزي وقدم تقريره وبعدها أكد السادات انه لن يتم تحديد وقف اطلاق النار وعلينا أن نتأهب للمعارك والا نصدق الدعاية الأميركية. في ٢٣ من مارس ١٩٧١ عقد الرئيس مؤتمرا عاما للضباط وقد طلب الي أن أحضر معي ٤ ضباط من مختلف الرتب من منطقة البحر الأحمر العسكرية لحضور هذا المؤتمر، وقد بدأ الرئيس حديثه بشرح الأسباب التي دعته إلى تمديد فترة وقف اطلاق النار التي انتهت في ٤ من فبراير الماضي فقال: أن جهود مصر الدبلوماسية قد نجحت في عزل إسرائيل عن العالم فقد تم عزلها عن أميركا وبريطانيا ودول أوروبا

الغربية واسبانيا وايران، وعن موقف إسرائيل قال السادات: لأول مرة تعترف إسرائيل في وثيقة رسمية أرسلتها إلى السكرتير العام للأمم المتحدة بتاريخ ٢١ من فبراير ٧١ بأنها لن تنسحب إلى خطوط ٤ من يونيو ٦٧، وبذلك وضحت نواياها أمام العالم أجمع، وعن علاقاتنا مع أميركا قال: نحن لا نثق بأميركا فقد وعدتنا كثيرا ولكنها لم تف بوعودها، وقد أخطرت نيكسون بأننا لا نثق بوعود أميركا ولكننا على استعداد لان نثق بالأفعال، وعن المعركة مع إسرائيل قال السادات: أن المعركة القادمة هي معركة شعب وليست معركة القوات المسلحة، ويجب علينا أن نحصل على التوازن الدقيق بين مزايا بدء المعركة الآن وبين مزايا الانتظار، وأني أعدكم بأننا لن نقدم ميعاد المعركة يوما واحدا ولن نؤخرها يوما واحدا عن توقيتها الصحيح، وفي خلال قيام الرئيس بالقاء كلمته وزع على الحاضرين خريطة تبين الأراضي التي تريد إسرائيل أن تحتفظ بها، والأراضي التي هي مستعدة لاعادتها إلى العرب وقد علق الرئيس على هذه الخريطة وهو يستثير حماس الضباط هل تريدون أن تقبلوا هذا الهوان ؟، وكان الرد حماسيا من الجميع لا - لا لن يكون هذا.

خارج السياق : (عبدالمنعم رياض)

ولد الفريق محمد عبدالمنعم محمد رياض عبدالله في قرية سبرباي احدى ضواحي مدينة طنطا محافظة الغربية في ٢٢ أكتوبر ١٩١٩، ونزحت أسرته إلى الفيوم، وكان جده عبدالله طه على الرزيقي من أعيان الفيوم، وكان والده القائم مقام (رتبة عقيد حاليا) محمد رياض عبدالله قائد بلوكات الطلبة بالكلية الحربية والتي تخرجت على يديه الكثيرين من قادة المؤسسة العسكرية.

درس في كتاب القرية وتدرج في التعليم وبعد حصوله على الثانوية العامة من مدرسة الخديوي إسماعيل التحق بكلية الطب بناء على رغبة أسرته، ولكنه بعد عامين من الدراسة فضل الالتحاق بالكلية الحربية التي كان متعلقا بها، انتهى من دراسته في عام ١٩٣٨ م برتبة ملازم ثان، ونال شهادة الماجستير في العلوم العسكرية عام ١٩٤٤ وكان ترتيبه الأول، وأتم دراسته كمعلم مدفعية مضادة للطائرات بامتياز في انكلترا عامي ١٩٤٥ و ١٩٤٦. أجاد لغات عدة منها الانكليزية والفرنسية والألمانية والروسية، وانتسب أيضا لكلية العلوم لدراسة الرياضة البحتة، وانتسب وهو برتبة فريق إلى كلية التجارة لإيمانه بان الاستراتيجية هي الاقتصاد.

في عام ١٩٤١ عين بعد تخرجه في سلاح المدفعية، وألحق باحدى البطاريات المضادة للطائرات في المنطقة الغربية، حيث اشترك في الحرب العالمية الثانية ضد ألمانيا وايطاليا.

وخلال عامي ١٩٤٧ ١٩٤٨ عمل في ادارة العمليات والخطط في القاهرة، وكان همزة الوصل والتنسيق بينها وبين قيادة الميدان في فلسطين، ومنح وسام الجدارة الذهبي لقدراته العسكرية التي ظهرت آنذاك.

في عام ١٩٥١ تولى قيادة مدرسة المدفعية المضادة للطائرات وكان وقتها برتبة مقدم.

في عام ١٩٥٣ عين قائدا للواء الأول المضاد للطائرات في الإسكندرية.

من يوليو ١٩٥٤ وحتى أبريل ١٩٥٨ تولى قيادة الدفاع المضاد للطائرات في سلاح المدفعية.

في ٩ أبريل ١٩٥٨ سافر في بعثة تعليمية إلى الاتحاد السوفييتي لاتمام دورة تكتيكية تعبوية في الأكاديمية العسكرية العليا، وأتمها في عام ١٩٥٩ بتقدير امتياز وقد لقب هناك بالجنرال الذهبي.

عام ١٩٦٠ بعد عودته شغل منصب رئيس أركان سلاح المدفعية.

عام ١٩٦١ نائب رئيس شعبة العمليات برئاسة أركان حرب القوات المسلحة وأسند اليه منصب مستشار قيادة القوات الجوية لشؤون الدفاع الجوي.

في عامي ١٩٦٢ و١٩٦٣ اشترك وهو برتبة لواء في دورة خاصة بالصواريخ بمدرسة المدفعية المضادة للطائرات حصل في نهايتها على تقدير الامتياز.

وفي عام ١٩٦٤ عين رئيسا لأركان القيادة العربية الموحدة.

ورقي في عام ١٩٦٦ إلى رتبة فريق، وأتم في السنة نفسها دراسته بأكاديمية ناصر العسكرية العليا، وحصل على زمالة كلية الحرب العليا.

وفي ١١ يونيو ١٩٦٧ اختير رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة المصرية فبدأ مع وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة الجديد الفريق أول محمد فوزي إعادة بنائها وتنظيمها.

وفي عام ١٩٦٨ عين أمينا عاما مساعدا لجامعة الدول العربية.

حقق عبدالمنعم رياض انتصارات عسكرية في المعارك التي خاضتها القوات المسلحة المصرية خلال حرب الاستنزاف مثل معركة رأس العش التي منعت فيها قوة صغيرة من المشاة سيطرة القوات الإسرائيلية على مدينة بور فؤاد المصرية الواقعة على قناة السويس وذلك في آخر يونيو ١٩٦٧، وتدمير المدمرة الإسرائيلية إيلات في ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ وإسقاط بعض الطائرات الحربية الإسرائيلية خلال عامي ١٩٦٧ و ١٩٦٨.